

«القمي» يكرم الفنان القدير «أبو صياح» ببقاء ثقافي على مسرح المدينة. بيروت

سبيعي: يا سادة يا كرام... العروبة ورطة!
الدبس: يكرمك حزبا لأنك قيمة تسكن حدقات الناس



بصوت معتق يعيق حارات الشام وياسمينها، وبالعبارة التي يستهل الحكواتي بها حكاياته... «يا سادة يا كرام»، بدأت حكاية من نوع آخر في إحدى قاعات مسرح المدينة. حكاية حملت المستمعين إلى الحضور في رحلة عبر التاريخ، التاريخ الحقيقي، غير ذلك المدون في كتبنا الدراسية، وغير المُستقى ممن أرادوه على هذه الشاكلة، التي تجعل الخائن بطلاً، في حين ترسل البطل إلى غياهب النسيان. «يا سادة يا كرام، بلهجتي الشامية المحكية ساحتكم فأعزوني». هكذا بدأ رفيق سبيعي، فنان الشعب، حكايته التي أعطاها سريعا عنوان... سورية!

يا سادة يا كرام... وراح يتذكر، وفي تذكره تدوين جديد للتاريخ. تذكر كيف كان الأهلون يلحون بالحزيرة من نير الاحتلال العثماني مطلع القرن الماضي، وكيف أن الغباء لدى بعض المتزعمين رماهم في أحضان فرنسا وانكلترا ففوجئوا بـ«سايسك بيكو»، و«عد بلفور». تذكر كيف ضاعت فلسطين وكيليكيا والاسكندرون، وكيف قُسمت الأمة. وتذكر كيف هُلل بعض شعبنا بثورة آتية من الصحراء، وإذ بقاء الثورة ينضب ولديه ملكين، ويصبح الثلاثة جواسيس للإنكليز.

جميلاً كان أبو صياح، في مسرح المدينة كما في كل إطلااته عبر عقود من الزمن. السنون لم تتعبه وإن جعلت جسده نحيلًا، ومحيًا متجعداً، لكنه هو هو، بصوته اللطيف القوي، الذي يسمعه القلب قبل أن تلتفه الأذن.

«مسا الخير»، هي العبارة الأولى التي قالها فور دخوله القاعة التي غصت بحشد محبيه، فالتهب المسرح تصفيقا استمر حتى جلس أبو صياح منتصباً في حفل نظمته عمدة الثقافة والفنون الجميلة في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وقد أخذ مناهج الأعيادي، بالاناشيد والتعريف والخطابات، لكن هذه السطور، خصصت للكتابة عما كان وراء الكلمات، ووراء المشاهدات. هي سطور عن عذبات لم تعرف التوقف بينما كان الحكواتي الأصيل معلقاً على عرش الحكاية.

يقول سبيعي: «إنني كلما أفكر عميقاً في التاريخ، وفي ما جرى على مدى عقود من الزمن، أتوصل إلى نتيجة واحدة... إن سورية تدفع ثمنًا فظيماً نتيجة ورطة اسمها العروبة.

يا سادة يا كرام. يقول سبيعي بلهجته الشامية. سورية كانت دائماً تحضن الكل، لجا إليها من الفقاس سنة 1860 الشركس والداغستانيون، والأرمن سنة 1915 لما تعرضوا للمذابح الوحشية على يد الأتراك، واحتضنت العراقيين بعد الغزو الأميركي، والبنانيين بعد العدوان «الإسرائيلي»، وصوماليين وسودانيين وأفغاناً وباكستانيين، والأخوة الفلسطينيين... وما سعنا مرة أنه نصنبا خيمة واحدة لإقامة لاجي... خيمة وحدة ومخيم! اللي بيوجعني، إنه نحنا كئنا نحسن بوجه الكل، بس ما حدا بيحس معنا!

يا لذل كل من تواتي عن عون النازحين السوريين، يا لصغرم أمام سورية والضمير!

يا سادة يا كرام، حكى رفيق سبيعي الكثير الكثير، وعلق في جوانبنا الكثير الكثير، نتذكره كلما وخرنا الضمير، وكلمنا على بالنا... حكاية

أحمد طي



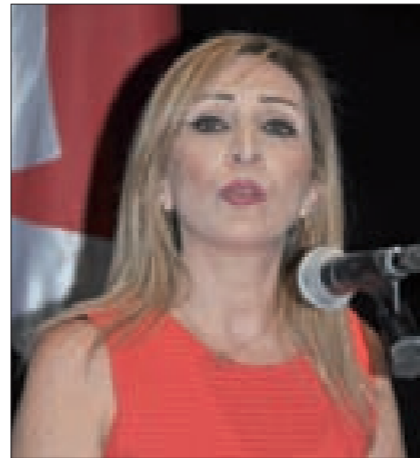
سبيعي



الدبس



زهر



الناطور

برنامجا إذاعياً أسبوعياً بعنوان «حكاياتي الفن»، كما شارك في مسلسلات: حكام الهنا، ومقالب غوار، ووادي المسك. ومن مسرحياته: حبس الأحلام، الأخوة كرمازوف (مع الإشارة إلى أهمية المغزي وراء هذه الرواية الروسية العميقة)، وقد مثل حوالي أربعين عملاً فنياً بدءاً من «مسخر رمضان»، مروراً بالمؤسسة الرحبانية التي شهدت مشاركته في بعض أعمالها كـ«سفر برك»، و«بيت الحارس»، وهو الآن عاكف على تصوير دوره في مسلسل «حرائر».

لقد لعب الأستاذ رفيق الإنسان المنتمي، بل دور الفنان المنارة، كما كان الزعيم أنطون سعاده يشد على الأدياء والفنانين أن يفعلوا. ففي كهوف هذا العالم المظلمة، لا بد للإنسان الحضاري من أن يتوجه نحو النور، فيقتدي به الشعب في الوعي والصراع والمقاومة والنقطة والعمل الهادف إلى الانتصار. إن منقفاً واحداً ذا ضمير لا يمكنه التفرغ لدور النهضة القومية الاجتماعية الريادي في الإيقاظ والاستبشاف والإبداع والحدائق الثقافية، شعراً ونثراً وفناً ومسارح. تأسر أبو عامر بذلك التيار الحدائثي الذي أطلقته نظرة الحزب الجديدة إلى الحياة والتكون والفن، وهي نظرة فلسفية عمدت التجرد بالاصالة. ليست الحدائق برعمة جديفة من الجذور؛ ليست في جوهرها موقفاً؟ نعني به الموقف العقلاني المتقدم، خصوصاً من التزهات والخرافات والنطيات الجادة؟ نحن مدعوون أحياناً إلى أن نترق أفكارنا حتى لا تتكسر، عندها فقط تسوء علاقتنا بالبيباغات وتتوق بالعباد.

من هنا مثلاً، لم تستسغ مدرستنا النقدية شعر أحمد شوقي ولم تعترف به أميراً، على رغم المبايعة. لا لأنه كان شاعر البلاط السلطاني فقط، ولا لكونه تقليدياً مرقفاً في استنساخ رتيب للنموذج العباسي فحسب، بل لأنه لم يصب من نقية المسرح شأواً، فثقافته السيكولوجية والفلسفية. وبدل أن تنمو الحياة في مسرحه نمواً ذاتياً طبيعياً، تراه يستقي وقائعه من مرويات التاريخ غير المدق، يأخذها أخذاً قريباً جاهزاً عن أخبار كليوباترا وقمبيز وعنترة، أو كما دونتها الرواة عن الجنون في «الأغاني». والأصل في هذا الفن أن التاريخ لا يعود كونه إطاراً ومعطيات غلفت في ذهن الجمهور، وأن المسرح هو إعادة بناء الحياة من قلب الحياة. أي أن المعطي التاريخي ليس لمجرد القص والسرد، بل ليحقق بالامتداد الحي الكوني لمبني المسرحية المُحكّم، وهذا هو البعد المعرفي لقول سعيد عقل: «أجل التاريخ كان غداً».

لذلك، كانت الثقافة العضوية قوة مبتكرة، مخترعة، لا تراكم محفوظات. من هنا، نُصح المفكر الفرنسي جول رينار الكاتب بالقول: «ضع قلمراً صغيراً في ما تكتب». وتعبيره لطيف لفظاً عميق معنً. أما الشاعر الكبير علي أحمد سعيد (أدونيس) فكان أقسى، فسأل،

نظمت عمدة الثقافة والفنون الجميلة في الحزب السوري القومي الاجتماعي، لقاءً ثقافياً مع الفنان رفيق سبيعي (أبو صياح) في مسرح المدينة - بيروت، حضره رئيس المجلس الأعلى محمود عبد الخالق، نائب رئيس الحزب توفيق مهنا، وأعضاء القيادة بزبه روحانا، وأهل الحسنية، ميشال نخلة، النائب مروان فارس، صبحي ياغي، لور خليل، سامي بو فواز، ميسون قربان، فارس سعد، عاطف بزي، رئيس الحزب الأسبق مسعد حجل، كريمة مؤسس الحزب اليسار أنطون سعاده، ونجل المكرم المخرج والممثل سيف الدين سبيعي، الفنانين بيار جاماجيان وأحمد الزين وعدد من الفنانين السوريين والبنانيين، ومن ممثلي الأحزاب والهيئات الثقافية، والقوميين والمهتمين.

استهل اللقاء بعرض فيلم قصير موثق عن مسيرة الفنان سبيعي، ثم ألقى تاموس عمدة الثقافة والفنون الجميلة ميثار الناطور كلمة أكدت فيها أن «المتحجج المعرفة قوة»، وأن الأمم تقاس بتاريخها الثقافي والحضاري، ولذلك ترقى كيف تقوم القوى الإراهية الظلامية المتطرقة والرعية المتخلفة، بتشويه حقيقتنا وثقافتنا وحياتنا، عبر قتل الإنسان وهمد الصروح وتدميرها، ومحو التراث الحضاري، وفرض قواعد لا تمت للإنسانية الحقبة، بل تصفياً للمؤامرة الصهيونية على أمتنا.

بعد ذلك، ألقى رئيس الدائرة الفنية في عمدة الثقافة والفنون الجميلة الشاعر عماد زهر كلمة أشار فيها إلى إطلاق مجموعة من الأنشطة الثقافية، وكانت له قصيدة.

كلمة مركز الحزب

والقى كلمة الحزب المركزية عضو القيادة الدكتور ربيع الدبس، الذي قال: «الفن أسمي من الحياة». قالها فلوير بكثافة وصدق. أما نحن فنقول: مخطئ من يفطن أن الثقافة منفصلة عن الحضارة، أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأمن أو تفاصيل الحياة. وما الفن الذي يُفرض من الجذع الثقافي سوى ربيع مشدّي بموشور الجمال: رسماً، ونحتاً، وغناء، وتالياً موسيقياً، ومسرحاً تعبيرياً، وواحات من الضوء الذي لا ينطفئ.

رفيق سبيعي شرع من تلك الأشرطة التي أبحرت نحو آفاق أبعد من نوع فني واحد، ومن تصفيق يتلاشى كالزبد. والأخرى بنا أن نسيمه «أبا صدام»، لأنه لم يك صيحا بمقدار ما غنى وأطرب، من إحدى باكوراته الشهيرة: «يا ولد فلنك شال، إلى صلاة الزين، إلى يا ابني الله يخليك، هاي هبي الشام، أنا سوري، وياقات آخر».

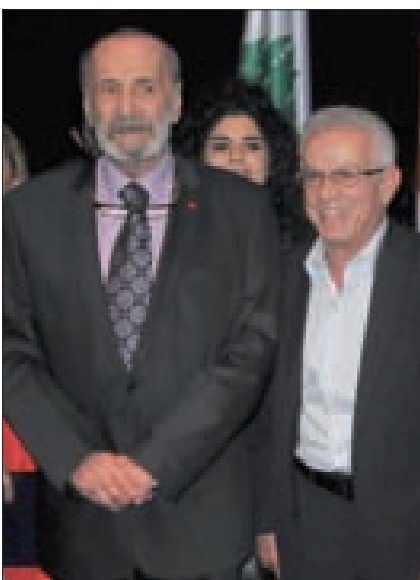
هذا الفنان المخضرم لم يشبع من التجرد في الأرض، ولا تبع من التصدي للإرهاب الظلامي فترا وصوتاً وكلمة ومواقف، وهو منذ مولده في حيّ البرورية في دمشق، إلى مشاركته في المسرح القومي في الشام، ورَّع نشاطه ما بين الإذاعة والسينما والمسرح والتلفزيون، فقدم

وهو المولود ثقافياً في كنف النهضة، ثم أجاب نفسه: «متى نقرر أن نقول عن فكر أو أدب أو فنّ إنه يليل أمد التحلف...؟ عندما يكون خارج الغمرات الكبرى، متصالحاً، ولا يطرح أي سؤال خلاق على أي شيء».

فيا ابن العُقد التاسع من العمر المعق، أيها النبت الصالح النامي بالعناية، لئن كزمت حزينا في دمشق خلال العام الماضي، فهو يكرمك اليوم في بيروت تقديراً لقيمته الفنية المستمرة في إعلاء شأن الأمة والوطن، وتنميتها لمواقفك الصلبة من العدوان السام على القلب القومي النابض، وتأكيداً على الكاس المشتركة التي نشربها من الكرامة الواحدة. فباسم الحزب السوري القومي الاجتماعي قيادة وأعضاء، نحني في عينيك قاسيونها الحاني، وفي جبهتك حرمونها العالي، ونقول لك: الذين يعفرون في التربة المباركة لا يتقادون، إنهم في حدقات الناس.



فنان الشعب لدى دخوله قاعة المسرح محيياً الحضور



... ومع الفنانين: أحمد الزين وسيف الدين سبيعي وبيار جاماجيان



... ومصافحاً كريمة الزعيم اليسار سعاده



... ويتسلم الدرع التقديرية من مهنا بحضور حجل والدبس